الكيلاني عون

شرائح الهواء

2021




شرائح الهواء



الكتاب : شرائح الهواء
الصنف : شعر
المؤلف : الكيلاني عون
الطبعة الأولى
سنة الطبع :2021

رقم الإيداع القانوني : 165/ 2021 دار الكتب الوطنية

ردمك: ISBN 978-9959-9683-8-8

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب
دار الكتب الوطنية
بنغازي - ليبيا
هاتف :9090509-9096379-9097074
بريد مصور :9097073
البريد الإلكتروني : nat_lib_libya@hotmail.com

لوحة الغلاف : الكيلاني عون
تصميم غلاف: محمد الكاسح
إخراج داخلي وطباعة : إمكان



ش شوقي - طرابلس - ليبيا

الكيلاني عون

شرائح الهواء

شعر

إلى السّاعات المعطّلة في دكاكين المرايا

إلينا جميعاً بين نخاخ النجاة

أريدُ أن أُقشِّرَ الكلمات كالبرتقال

أريد أن أُزوِّجَ البحرَ للغابة
وأكون الشاهد الوحيد بين الوصيفات وجرارهنَّ المليئات
بالعسل على الشاطئ
أريد أن أكون أب الاثنين
وحامل التيجان المرصّعة بالمجازات
إلى كوخهما النائم كثأرٍ يربّي الأقفاصَ لأحلامه
لن أقبل بغير ما أتذكَّره
بغير الذي أتنفَّس مأواه
أريد أن أكون الجمهور كلّه وعازف الحيِّ السكران
بهلولَ الصّور
وفقيدها الظافر بالنبع الجوّابِ وسائدَه
وقارع الطبل لثرثرة الأوراق ومجون الثمار،
أريد أن أقسّمَ الليلَ نصفين
كلّ واحدٍ منهما لا يشبه الآخر

ولا يشبه ما تتجاذبه أطرافُ المناديل،
أن أنقشَ اسميهما على ممراتِ النسيم
وذيلِ قوس قزح الطاووس القادم
من رسائله
أريد أن أُقشّرِ الكلمات كالبرتقال
وأتخيَّر منها ما يليق بمنفاي
وألقي للمارة ما تبقَّى من الضحك المرسوم
على أطراف السفن المتناثرة كالجثث
أو كالضباب
أريد أن أُقبّلكِ كمن يُتوَّجُ مَلكاً على العطور والأطفال
أريد أن أكون السّاحر والمسحور معاً
كدهَّانين يتناوبان النوافذَ بأرباح البخور
بي هذرُ القرنفل كعطَّارِ نبوءاتٍ فوق كمين الفراغ
بي فراغٌ يحني على مقاديره

ومقاديرُ تنحني على فراغها

لي جبلٌ مثلي يلمُّ حصائرَ وليمته للهسيس

ويلقّنِ حجارته قبل النعاس أبراجَ العوسج

وموازين لا تنجو بأترابها؛

أريد أن أتنفّس الأشجارَ كلها

والندمَ طافياً على سطح الغزوات

وأشتري بدراهم الخوخ الذي لم أبعه بعد

ثياباً تخبّئ جروحَ النداء

وأقول له:

لا

تُطِلِ

المكوثَ

بين

النوافذ

التي

تبكي

أريد أن أبكي مثل خوفٍ غُدِرَ به

كبهاءٍ مرتبكٍ في قدورٍ تغلي بالبصل والثوم

أريد رؤية وجهي الذي نسيته

عن طيبِ نزوحٍ

ويدي التي ترسم للهفوات كنوزَ الصواب

أريد أن أرتّبَ أسماءَ المدعوّين

إلى وشايةِ القصدير

وأحيل الذهبَ لعماله القتلى

أريد أن أقتلَ ما أعرفه لأتعرَّفَ إليهِ ثانيةً بعاداته الأخرى

وغنائم شفقته المدلاة بين الأنقاض

أريد أن أموّهِ الموتَ بأنباء المواء الأزرق وطيش الكدمات

وأُهرّب النومَ إلى مساكنه الجديدة

وأُعلِّمه سحورَ الآخرة

أريد أن أسيرَ طويلاً تحت المطر

بقميصٍ يذوب رويداً كصفحة كتاب

وحذاءٍ نصفه غارقٌ بالوحل

أريد مطراً أكثر ممَّا يتبعني من ظلال

أريدُ رياحاً أكبر منِّي

إنها ريبةُ بعمرِ الذبائح، أَذلّوا النسخَ

وراءَ متاجره

لن أتسوَّق منهم عشاءَ الجواد

لن أشتري من الصقيع أكتافه المسنّنة

لن

أقول

شيئاً

لساعات

الفحم

العدَّاء

لأرواح السلالم بين قشور المَعْشر

سأرمي الزجاجَ بالزجاج

مكتفياً بالذئب العائد بخوابي المذاق

عَدًّ حليقٌ ما لبث غير زفرةٍ ثم مسَّه المؤرخون

عَدًّ رجيمٌ كسخاءِ الطعنة علَّقَ جيرانه

في دخان السطر ونام

أريد أن أنام

وقبل الكوابيس بقدحٍ كسول

أريد أن أسرق الوقتَ من سلّة الذكريات

قتلتُ رجلاً لا أعرفه
وجلستُ أبكي عليه

قتلتُ رجلاً لا أعرفه

كان يملأ جيوبه ببذور اليقطين والبازلاء

ولديه سلّة لهاثٍ مطعون للتوّ

وعلى كتفيه منزلٌ صغير

ورسائل عشيقات ذُبِحْنَ قرب غدير النوم

وحيداً كان يجرُّ خيالَ الحذر المقسوم

وراءَ عواءِ

الأزلِ المعذَّب

وحيداً وخائفاً من هدير الشاحنات البعيدة

وهي تلتقط الجثثَ التي تهرول كزياراتٍ

عمياء

للصفير،

صمته لم يثنني

ونظراته المكسورة لم تكن كافية

لأعرف قلبي

لأتذكَّر من كنتُ وكيف غادرتُ الحربَ
عائداً إلى كنوز المجهول بلا شيءٍ سوى
بقيَّة طلقاتٍ
أذخرها لذئبِ اليأس المتربِّص بالظلال
كالمسَّاح يختلس المصائرَ مثل الزوايا
المكشوفة لبراهينه
كان نحيلاً مثل معركةٍ تتخبَّط في الصلح
وكئيباً يشمل الأنحاءَ بدموعه
تمتمَ شيئاً وهو يبتسم للهواء البارد
وأنا أُصوِّبُ إليه بندقيتي أوصاني أن أنام قليلاً
وقال عِدني ألا تترك مدينتي في العراء،
كان يضحك ودمه يتناثر كالريش
تارةً يحمِّلني صورَ أطفاله
وأخرى يخطّ على الرّمل كلاماً لا أفهمه
قال لي ألف مرَّةٍ: استرحْ فوجهكَ شاحبٌ

من الجوع والعطش والمسير
والحرب في أوّل الكأس

قتلتُ رجلاً لا أعرفه
وجلستُ أبكي عليه

نهرٌ في الكراسة

نهرٌ في الكراسة
جبالٌ تسير إلى مقاهي الغيب
ودجاجٌ يلتقط سراعيفَ الغد المتناثر كالشبهات
ماذا لو دهنَّا القمرَ بالزغاريد
وفتحنا القلاعَ للجنود الذين يطلقون دموعهم
بدلَ الرصاص
ماذا سيحدث لو أعددنا للأشجار وجباتٍ
من أكباد الصداقة
وليكن الخبز بعدئذٍ ما ترتئيه اللهجاتُ
وشصوص الفكاهة
ماذا لو أحببتكِ أكثر ممَّا بكيتُ
لو أطلقنا أسماءنا على الغيوم والرياح
ومهَّدنا خلوات الفوانيس
لو رسمنا بعض الهدايا للفراشات التائهة

وجثث الينابيع ؛
أقابل النهرَ في الكراسة
أُعلِّمه كيف يموت وهو مبتهج
وكيف ينتصر بعينيه المغمضتين
على الرصاص
كيف يولد من ضلع فكرته
ويرى الشمسَ دميته البِكر تضلِّل ما يتدلَّى
من شاحنات الرماد
ماذا سيحدث لو خرجَ النومُ إلى الشارع
وفناء معسكره المليء بالثلج يلمع بين القتلى
باحثاً نهارَ الليلِ الطويل
عن جدارٍ لا يومئ للظلال بشراشف الدفلى
عن يدٍ تسدِّد رائحةَ القرنفل
وأحلامٍ يجمعها في سلال اللوز للباقين

لا تحدِّثه عن الصّوت فهو يراه

أوفهِ كيلَ الصُّور فأنا أعرفه
ولدته الرياحُ من أكبادِ بصرٍ ذاتَ خسوفٍ
ينحدر بالنسيان إلى قوارير تنتظر البرقَ
وإلى تجارةٍ كانطواءٍ على شكوكِ السّمع
أعطهِ مقعداً يرتاح عليه فخَّارُ الصدفة
وعصاً يهشّ بها الزفرات
ارسمْ له مشجباً
يعلِّق عليه معطفه الممزَّق بالرصاص
وهفوات الأزقة،
أمواجاً لقاربه المكشوف لبنات الفضَّة
يخلعنَ القبلات كالأسنان من مقاصد الترجمان الميِّت
ويلقين بها للشمس:
أعطنا سهوَ الدموع
وخذي ربّاتَ الدويِّ

أيتها الشمس الكبيرة مثل الخيانة
والذكريات
أعطنا الضجرَ البِكرَ
نورّثه حِيَلَ القوافل ومنازلها كي تصلَ
جدالَ البراءة وسجّانها الضّرير
أعطنا ثلثَ التأويل،
وثلثاه حليبٌ على نفسه
منطوٍ على نقوش الزيارة.
خلِّ بينكما فسحةً للهدير، ربّما، أو للبكاء
فأنا أعرف ضيوفه
من أُمم الأغصان وما بعدها
ستراه يكلِّم العشبَ ويكلِّمه العشبُ
فاصبرْ على ما يقضُّ الطواف
لا تُشِرْ نحو سقوف اللّهاث ومناديله

مناديلِ المجهول الباهظ
كان المُعْضَلُ شبحاً متمادياً في صكوك القضاة
يتصفَّحون ما يخسرونه في هجاء التتمَّات
جنَّبوا أرصفةَ الملاذ ممَّا ذرفوه
طواحينَ عالية في مزادٍ هجين،
قضاةٌ
إبرٌ
لثقب
آذانِ
الشقاء
يتباهون بشفاههم الغليظة وهي تنثر اللعابَ
كالروث في دكاكين الضّحى
والضّحى غائمٌ بآثامهم
وآثامهم مقيَّدة بمحاريث مسروقة
رهائنه بطعم الغدير يتناوبونه كالقرَّاء

وفوق ذلك هادئون بخبزهم القليل
يسندون إليه المفاتيحَ
وهم يرتّلون اللحاقَ بأجنحتهم
بالفكاهةِ وغزال البحر،
هنا غزالٌ موعودٌ برؤياه
هذا زعمٌ بصلحِ العتبات ولغط الأوزان
هذا تمام المملوك الأصغر
بارّاً بلا شيء

مثقال قيدٍ بكلِّ السّفن
بكلِّ الظلام المزروع يقطيناً حديديّاً
مثقال دمعة بكلِّ الأبراج الشريكة
في صدوع التيه
والتيهُ
دمٌ

موصدٌ

بعمومة

المجزرة،

لا تقربْ حصيرته وأنتَ ضامرٌ

كفكرةٍ جائعة

أعرفُ مزاجَ السرِّ بين سلاطينه

في بساتين إشاراته

وأعرفُ فتاواه الغاضبة

من تدوينِ الرضوض

فلتُهرِّبْ خادماتَ الجفّاف وبراهينه

قبل صياح الموائد

لتكن مشموماً كأرتالِ حبقٍ جبليّ

وأبداً

لا تحدِّثه عن الصّوت

فهو يراه

هنيئاً لهم ما ودَّعوهُ على عَجَلٍ

هنيئاً لهم ما تركوه من أمومةِ هذرٍ يُحتَذى

تلوَ الترابِ على قَسَمِ العتبات

هنيئاً لهم ما ودَّعوهُ على عَجَلٍ

كما أحبّوه على عَجَلٍ

ما اصطفاه ماجنُ الظلّ

صوَّبته خيولُ الذهبِ وغلالُ النقودِ تُرمَى بنقودِ الهبوبِ

ما يرتعدُ لا يرتعدُ في قبو الشَّرِيك

هنيئاً لمعاطف أثمانهم، لآخرِ ما رسموه

على حليب المنافي

هنيئاً لهم ما اقترفوه من آثام النوم

كالسّاهرين

ما حمَّلوه سلامَ المراهنِ على صبره

ما علَّموه نشيدَ الكتابة لينفخ في صورة البيتِ

بيتاً يدلّ جداءَ الألقِ

على ألقٍ بين غصون القراءة

ويوهم الطيرَ بزينةِ أنهارٍ
كنساءٍ شددْنَ خيالَ النساءِ
هنيئاً لهم ما وقفوه
وما جلسوه
وما حملوه بين راحات الدمع كالرضيع يسمِّي
الضحكَ بعاداتهم
هنيئاً لهم رواق الزينة، همس الستائر، رفوف البخور
بين الكلام
يقتلون الليلَ بهواجسهِ
ويقتلون النهارَ برمّانهِ المسروق
لا ينامون في هزيع المراكب الضّرير
لهم جسورٌ من تدوين الغسق الفضفاض
يرسمون أكتافاً لا تشبه ما تعانيه المياه،
هنيئاً لما ينظرون إليه
وما ينظر إليهم

ما كنسوه من زجاج النميمة وغيب الشحوب
ما عوّدوه على حاله
سويّاً على حالهِ
لا شيء تحت الرّنين أيها الصدعُ
نهبٌ يتخبَّط في النهب وغنائم ذاتها تتفصَّدُ أسواقاً
أرادوا بحراً فرسموا اعتدالَ الشبهات
غلَّفوا بمراجيح الساعات طيناً
يقفز كضفادع مهلٍ ماجنة
في صحونِ الهباءِ ونادوا العطَّارينَ
لجوع النكهات،
أعدّوا فراراً من شرائح الغد
شدّوا الأبوابَ من حيلةِ النسيان
وكتبوا أسماءهم بغبار الأقلام
هنيئاً لهم ما كتبوه بفحم الأسرى كالأسرى
وهم يُدْلون بصيحةِ الجهات

يخمِّنون ثغورَ المتاه
إنه بعثٌ يمتحن قطيعته، قرائنُ تهيئ
عدلَ المنفى
والذي أحبُّوه على عَجَلٍ
تركوا بين حدائقه آخرَ بنادقهم الفارغة
وبين عينيه آخرَ القبلات
وخرجوا بلا مصابيح
في ليلٍ يثرثر بالقنّاصين
هنيئاً لهم ما ودَّعوهُ على عَجَلٍ
كما أحبّوه على عَجَلٍ

شرائحُ الهواء

جَلَدٌ يُستغاثُ
نمّامونَ طهاةٌ يقلّبون رويداً أزرارَ الموحش
في زيتِ المغيب
يتبّلون حساءَ الليل بوسواسٍ بينه وبين ذباب المصابيح
لا ماء لأسقيكَ، لا راية تنجو بزلّاتها
منهوبان في ضمير الرمال والملح والأصدقاء
سأبكي قربَ وجهكَ ما شاءَ وجهكَ
فاشربْ ثانيةً ما تبقّى
من خزائن التمتمة كديونِ الرسائل
جرعةً يؤخّرِها الموتُ لمزحته،
يقدّمِها المنفى خاتَماً
لأنثاه الذئبة عائدةً برؤوس الشهود الحليقة
تدهنها بالخلِّ والجواسيس
واشربْ ثالثةً ألفاً ما ترجَّلَه الظلُّ من ظلّهِ ليضمّدَ شيئاً

مِمّا تركناه يخبئ الضحكَ بين شرائح الهواء

نحن سبايانا
سبايا النّدم يسترق السمعَ إلى خلصائهِ الميّتين
كأشبارٍ تلوك العربات المحمَّلة بالزّفير
سبايا الأعيادِ المثقوبة بالرصاص
والموتِ الواقف كالنهد في مقايضاته
رحّالةُ شفاهٍ يابسةٍ تلفّعوا بقبلات لا يرونها
يقرئون منازلَ النومِ قسمةَ ما يتأذّى وحيداً
نحن سبايا المؤقّت، عطشٌ يتسوّلنا جوعاً
بلا أطراف
وأمٌّ تذروها الرياحُ.
نأخذها على محمل البرتقال
السهامَ التي أثخنتنا بالذكريات التي لا ندري
من أين تنهمر

ونأخذ البرتقالَ إلى عشّ بعيدٍ كما
ينبغي الحُبُّ،
وكما ينبغي
نردُّ الظلَّ إلينا
إلى حتفهِ

سأهذي قرب جرحكَ ما شاء جرحكَ
ننتزع نقوشَ النبيذ من فكرةٍ في النبيذ
سِرَّان أضاعا ديونَ النوارس
وكثباناً تحجب عقيقَ الضباب

لن تفكَّ أحاجي القوارب ما سرقته القواربُ
والنّاجون وأغطيتهم من رقيقِ النظر
من قماطِ العدس مذبوحاً
أسلموا الريحَ لحبالٍ لا تشتهي موتهم

والموتُ أن تكون الذي كنتَ حيًّا،
نرتشف الهوى المتسكّع مثل ولاءٍ طريد
وبناتُ آوى المحتجبات بمعاطفهنَّ المسلوقة تُؤكَلُ
تماثيلَ هياجٍ ثابَ إلى رايةٍ
من نومِهِ
ليشقَّ قميصَ انتصاراتٍ على ذاتها

جَلَدٌ يُوزِّع حلوى النقيض
وراءَ ظهور الدفائن

إسكافيٌّ بين هزائمِ النسَّاخ

ما أناديه لا يستمع لبعض الحروف
أكلّما ناديته
سقطَ جبلٌ في باحة النومِ؟
سأكوّر الكلمات جميعاً وأُلقي بها في وجه قلبي إذاً
وأسمعها كاملةً وحدي قبل الحرب
أو بعدها
وأنتَ أيها الشتاء سأغطي عظامكَ بصوفٍ
لا عهدَ له بذاتهِ، وأُحرقُ النارَ بأخرى أكبر
من فضيحةٍ
هذه الأسواق كلها،
لا أرتبكُ في الغابة وأنا أُحصي الأسماكَ
مطعونةً باعتلالِ الكسوف،
دهاءٌ مربوطٌ إلى شجرةِ الغيم، حصاناً يصهل نقاهةَ الردِّ.
ما أُناديه سأناديه رغماً عنه
لا حيلةَ له ليضحكَ أو يبكي
لا نجاة من صلح القتلى مع القتلى والأحياء

مع ما كنزوه
لشيخوخةِ الضّبط مذ هم يتنفّسون
هباتٍ سُرِقَتْ
من فراغ الصيحة
أضاعوا نقودَ الفطنة وأعياداً تدحرج براميلَ الكافور الدهّان
شعوبٌ تتدحرجُ
أنفاقٌ تَزجّ بالضوء في أكاذيبه وتتدحرج
ظلالٌ تنحني وتتدحرج
كَرّاءُ ما صدّقته الشاحناتُ يتدحرج
أنباءٌ مسروقة تؤوِّل هرجَ التدوين
حروفٌ تنحسر عن زعم الرحّالة
خلفٌ أمامَ نياشينِ الرمال
أأنذرتُهم أم مكّنوا علفَ الممتهَن؟
ما أناديه سأناديه وحده بكل ما لديه من بناتِ السفن
على أهبة الرقص منذوراً لبياضِ الأزرق
يعرفني لا يعرفني وأناديه

أرسمه قبل الدهاليز
وأُقارن بينه وبين الملح وأخذله بأسماء الطير الأخرى
وأُسْمِعَه عاداتَ الميازيب
أُعلِّمه شكَّ النرجس بذَكَرِ اللُّبان
أكتمُ عليه حورياتٍ أسرى
هُنَّ أسرى لا أكثر يخلبنَ كسلَ القُبل
لا أكثر
يروِّحنَ عن جمالهنَّ بجمالٍ أكثر
سأكتم عليه الحجلَ القربانَ وأعجن نومه
كمن يُشْرِك بالعفو،
أقايضُ فكاهته بشروح الفكاهة
أرويهِ على مشارب نفسه كنفسهِ
وأَرِثه كما ترثُ المناديلُ المآقي
ثم أطعنُ ما بيننا من حبق المساءلة
أسبي مرشدَه

لوكيلِ البروج وأضع بين يديه اقتفاءً
مدعوّاً لفصاحة اللذع الربّان.
كيف أُوثق جزيته ما أناديه؟
لا أرى دنانيرَ غفلته، أحسبه يمشّط
سكينةَ الأشباح
ورقُّ أشباح
وسعاةُ أشباح
لهم ما تركوه من قنص الفيافي
وأقفالٌ تُدهَن بالزّيت لتفتضَّ المفاتيحُ
بكارةَ ما ستجده
من مؤونةٍ فرَّتْ بجلد غرائزها
سأُقوّله ماً قاله خلسةً للمحاذير قاطبةً
أُقلّمه كأظافر النوم في خميس الرذاذ
وأقول له ولهم:
لا تشتروا أبواباً من دكاكين أشتري منها الأبوابَ وحدي

أُكدّسُ فيها جواريَّ كأنصابٍ أُكسِّرها وحدي
وأُدَرِّبُ قدورَ المجازات
إسكافياً بين هزائم النُسَّاخِ.
لأبلونَّهم بدهاءِ النجَّارينَ
وعزائم المجاز
ناثراً الكُزبرةَ والحنّاءَ كضيوفِ الهدير
لطيورٍ من دراويش الكنايات
لأعيشَنَّ فرحاً بعمرِ الأليف
لأكلِّمَنَّ طبولَ الرعد الحلاّق
مذ أطبقتْ أنثايَ على زلَّةِ الحصن، خطراتِ البنفسج
نعمةِ التيهِ البندقِ سيَّافِ اللحظات
وتفّاحُها لا ينام
مذ أطبقنا على شغبِ الصّعتر، غيظِ الحُجَّاب المُرسَل
أدرنا الدفَّةَ للممسوسينَ بما سمعوا

لا يطيقون غير الذي أحبّوه

لا يطيقون غير الذي أحبّوه

أسرفوا في جمالِ قناصيه

لا يتبرّجون لسواه

لا يعطِّرون شهوات الحديث لغير نخاخهِ

يعلّقون خرزات الألقاب مكانَ النذر اللبلاب

ملتبساً عليه الماء

سيَدخل هذا الحريقُ رسائلَه قارئاً شفقةَ بستانيّ

تمالكه الركضُ

لا يَعدون الأليفَ بمعاركه

الآجُرَّ المتنكّرِ برائحة البنِّ

لا ينبسون بسراج الممرات

أو ببنت حروف

علّقوا كائنَ الدهر من غفلةِ الدهر

وأقالوا حظوظَ القماش خلودَ الوضوح،

لا يطيقون بذخَ المحظيّات وأكاذيبهنَّ

ولا يتشاجرون علانيةً في سرِّ الدَلال الفرَّان
حملوا الحُبَّ ثأراً
مُهَلاً تملّح الثغرات
كان مذاقاً يرتعد بأبوّةِ رُعافٍ شحّاذٍ
أحبّوا انكسارهم فيه
نظَّفوا الحُبَّ من دمه، ألبسوه حنينهم لفكاهاتٍ
كانت تنتظر ما أحبّوه
علَّموه عدلَ النطق وترخيم الرعشات
بينهم وخدود المعقول ليلُ قنبيطُ
يُلبِسونه مآثرَ الخطأِ
ممسكاً شكائمَ الساعات
صافحوا هديراً يستثني القُبلَ بقُبلٍ
على مشارف الغرقى
أوهموه الليلَ مرتدياً نهاره كالشمس
أنه آخر ألوان نفسه

رموا الحصونَ بالرّمّان

والغيومَ بنبيذِ الوشاية

وأرادوا غير الذي يُقاضى

العناقُ بالعناق واللثمُ بمثله ولا عَجَلٌ ينجب

سرقات الضوء،

ريثٌ يعوي كالذئب فوق سروج الطِيب

منامٌ غيبٌ يبوح بأرقِ الرخام

صداقهم بهلولٌ بين دفّتي ظلٍ لا ينكث بدعابة الريش

وكيدِ الأسرى،

وسائدهم أسرى

يتذرَّعون باتّكاء الأسرى

على الأسرى

نظرٌ يسرُّ الناظرين تعافاه اللّوزُ يوصَف بغيبوبته

نقّاشون في الزّبد

تأدَّبه ثوبٌ ضرباتٌ إلى جريرةِ الخطف

مُرادهم ثدي العاصفة
ريثما يرفعون الحمَّى المتناثرة بين هررةِ السعال حصاراً
كدويّ الرجاء،
ليسوا كمثل ما يُجْمَع
لا يطيقون حسابَ المكان
خيّالون في حلبات الجنّ يسوّي الجنَّ أختاماً
كوفئتِ الراياتُ بوسواس التدوين
بسروجِ الطعنة وأقفالِ الأزرق

أعانوا ثقاتَ الجذب، بهلولَ اللَّمح
أذابوا النقشَ ونادوا أشرعةَ الظلِّ المملوك والمُلك لغرورِ القسمة
لا قسمة بين المرئيّ وعافية الشطّار،
أُرِيقَ بياضُ السطر
البحرُ يجُبُّ ما يكتنه الجبل

يرونَ الجبلَ البحرَ
ولا يرون الملوكَ تسترق الندمَ جهةَ النسيان
لا مقابض تذرذر خوفَ الملوك
هم ملوكٌ أيضاً لكنهم لا يطيقون انشغالَ الملوك
حبلى في المهبِّ اليقينِ أرديتهم المعلّقة
على شجر الظلام
وعذبٌ ما يتهامسونه
هكذا عذبٌ لا أكثر ما لا يوقظونه
وما امتحنوه كاندلاعِ الندى

رسموا باباً يفضي إلى المنفى

رسموا بيوتاً من الرمال،
شجراً من أعواد الثقاب
صنعوا بأحاديثهم سفناً عائدةً بقماشِ الملائكة
وأصدقاءَ بلكنةِ الأصدقاء
قتلوا الحروبَ والخسائر المرصودة للذاهبين
والعائدين إلى لهو النجاة
صدَّقوا
ما
رسموه
وناموا على سُرَرِ التمتمة
يرفعون زيارات الغيم فوق رؤوس الشهيق
يُنصفون الملحَ كأخطاء النوافذ
المتعثِّرة في مشقّات دُوار النُّسَّاكِ
وأيديهم أرقام الحذر يدندن لضباعِ
الموج المدفون

في

سَدادِ

الأعياد

ديونَ

الأعياد

فتحوا صناديقَ الأسماء

ومنحوا النهرَ اسماً شبيهاً بأبنائه

شبيهاً بنظراته إلى خيالِ غيره من الحقائب

وهياجِ الأُصصِ الفارغة

فرأوا

رائحةَ

الاصغاء

إلى

صمتهم

رسموا في حقول الريش المعذَّب طيوراً

أتموا آخر وجبةٍ من الشظايا

وسبقوا حمولات المدى والعبرات

قاصدين

وجهَ

بابٍ

يفضي

إلى

المنفى

لا توقظي أحداً من رائحة الظل

دلّوا الليلَ على أقواس الحكاية حتى يرى
نصفه الذي سقط في هدير عينيه
لا يُسْمَعُ صيّادٌ يزِنُ الغيابَ كلحم البقاء
لا أراني معي
فلا ترسلي أُجورَ المتاهة
إنها حلباتٌ تدور بليلٍ يبيع غنائمه للوسائد
لا خيالٌ أُبشّره بزلَّةِ نصرٍ ولا هزيمة تطأ تعابيرَ الشرَّاح
ليلٌ يتساقط من كتف النزوح
ليلٌ يتنمَّل بدرسه المنهوب
وحدَّادون أضرموا أسيجةً من غبارٍ مقتول
رويداً سيؤخّرِهم طَرقُ الشّامات فيأكلون صدرَ البرق المقضوم،
دلّوا المصابيحَ على موتها
ووراء الذهب المجول العصافيرُ تجمع زينتها للرحيل،

لا

توقظي

أحداً

من

دمعته.

أحبارٌ ملوَّنة للرسامين يبعثون الأشلاءَ

كمُنَحِ الضوء

ستأخذهم الأصواتُ إلى معارك البياض

تخبئ السفنَ ومعاطف اللّبن

لا تشبه غرفَ الطين ذات النقوش

على ستائر الخريف

وقوارير زيت النوم لدهن المرافئ

لا تشبه أسماءَ الضيوف المكتوبة على المدِّ المؤجَّل

قسمٌ مقسومٌ كعشاء الحذر

فلا

توقظي

أحداً

من

رائحةِ

الظلّ ِ

مكتفياً بالذي لم يجدْ له أثراً

هذا الترف المتدلي من الصواب
يجرّ رفاته لشهواتِ الثور كلِ صباح
وهذه خلاسياته يرفعن تنانيرَ المصبَّات للجوَّالين
وقطيعٌ أخرس من جواميس الديون
يبحث عن عيونه التي سقطت في المأدبة،
أتعرف العروسُ أين ضاع المشهد وأعذار العازفين؟
والأمير الذي أخذته جيوبُ الأعاصير
أميرٌ نجول يتلبَّد بيقظته وراء الحصن،
يتشمَّس بنحتِ الغيوم
ولا يدري بأيِّ هزيمةٍ سينتصر الغبارُ على الغبار
أميرٌ بستانيٌّ
تشمَّمه الصّعترُ والبرتقال
ورأته امرأةٌ ينزل من حليب الضّفاف
مكتفياً بالذي لم يجدْ له أثراً
من صهيلِ الرسوم،

لم يجد ما يراه في المعركة غير الذي لم يجده،
أتدري العروس خلف مأزق الذهب
وأرق الحرير
ونبات المخادع
أين تثب المجازرُ كسطورٍ كُتبتْ بحبر الأرانب؟
بينما المهاجرون بأروقة الأنقاض
وحدهم يبيعون صورَ الأحاديث الأخيرة
على ظهر العماء الأكثر شباباً
ممَّا تسوِّيه طواحينُ الصدى كمقادير ضجرٍ
يُرمى بالمُهَل ونسيانها
يا لنوبات الترف ورسائله
يا للمشهد
وصكوك
سياجه
عيونٌ مأهولةٌ بالقمر النائم

وساعات رتيبة تحتجب خلف شجراتٍ
لا تُرى
طبَّالون في ردهات المناقير
نعيمٌ يلعق أحشاءً وأوسمةً
مشيّعون لا وجود لهم؛
يا لعروس تنتظر ما يراه الأمير

الغبارُ يضحكُ من شكوى الغبار

بماذا تعود الرياحُ من ثقوب السهر
وبراميل العدم المتدحرج
بأسلافه المغرَّر بما اقترفوه من ظلال الدفلى
بأيِّ جدارٍ ستُخفَى ندوبُ الجدار
بأيِّ زبدٍ كعراكِ الحظوظ تعود بغالُ الزفير
وبأيِّ كذبةٍ يا سيِّدي سنعود للغرف الشقيَّة بزينتها
بأيِّ جنٍّ طريدٍ
سأُنجبُ درايتي بالمخابئ؟
نسيتُني مرَّات
وأنا أتوسَّط الطوفانَ كأنه عينُ القنَّاص
نسيتُ بماذا رشوتُ الحصانَ المطعون بين عينيه
قبل استدارته الأخيرة للهشيم
بماذا رشوتُ عظامَ الخنادق
وانقضاض المقتول على رصاص القاتل

وما يتقاضاه خيّالُ التدابير المطهوَّة كالعدس

في بال المغنِّي

وصوته المغلوب على أمر المتاه

نسيتُ المتاهَ ونزوح الهمس المدجَّج بصمغ

الطفولة

نسيتُ ما يكلِّمني وأُكلِّمه

ولا

شيء

كما

ترجَّلته

الزنازينُ

إنه غرامُ المقصّات لكتَّان الأرواح

ولزوم الظلال المعبّأة

في قدورِ الشعير ليومٍ يُسحَلُ علانيةً

يا للهواء

المحتشم

بصديدِ

الرواةِ

يا للرواة وضجيج أسواقهم

تتدافع حصصُ الشّهود كبلاغة الأسرى:

ـ أُريد وزنها قديداً محفوفاً بالتّين

جارية الوصف المُنْتَهَب من غفلةِ الجنّ،

ـ من يشتري منّي هدهدَ اللّون

برداءٍ أُغطّي به خشبَ الحاضر؟

ـ من يشتريني أُسوَةً بالشهداء؟

وثمَّةَ رفٌّ يبيع ثدييّ الجنَّةِ

بنصفِ محراثٍ مكسورٍ

ورطلٍ من زبيب البارود

سِجالٌ

بين
الحنَّاء
وفطائر
البرق
رحَّالةٌ كمَّموا طباعَ أزقَّة القُبَلِ
بأشبار القُبَلِ
ملاكٌ حافٍ يريهم بزوغَ الفرار
ولا
يرونَ
تعبَه
المؤرَّخ
بالشظايا،
باعة السحب الصغيرة في أكياس ملوَّنة بالرمل
وباعة الحدائق والمناديل الورقيَّة
ودهرٌ من فروق النَّسَبِ الشحَّاذ

أضرموا النارَ في بضاعة المغيب

وأطلّوا من الشرفات

يغازلون النقودَ الساقطة مع المطر

من جيوب الغيب المثقوبة

يا للغبار

يضحك

من شكوى

الغبار

عشر برتقالات تصغي لقلبي

بين أشجار المغيب تركض الصبيّةُ بردائها المزهر
وضفائرها السكرى
أين تذهبين وحيدةً أيتها الصغيرة
بعينيك الرماديتين
وأفراس الظلام تهرول في الأفق؟

أبحث عن هواءٍ كتبَ عليه حبيبي رسائله،
عشر برتقالاتٍ تصغي لقلبي
عشر برتقالاتٍ تحدَّث عن وسامتهِ
عباءةُ الليل بلا نجوم!
ذكراه تنير الدرب.

ألا تخافين الخنازير البريّة وقرونها
المسنّنة؟

سيقتلها حبيبي من مكانه.
وأين حبيبكِ يا صبية؟
ترك آهةً وذهب إلى الحرب.

ستمطر بغزارة وأنتِ نحيلة
نحَبرٍ بلا مرآة
الجبلُ طريحٌ من البرد
نظرةٌ منكِ ستشعل الحطبَ لرعدتهِ
والبحرُ بهلول الأناشيد
نسي قبقابه الرملي
ألا ترين الغابة تتعثَّر في ابتهالٍ حزين؟

لا أرى غير دمعةٍ
تركها حبيبي خلسةً،

وعدني بالنصر كمن يبكي

واختفى؛

عشر برتقالات تقتلها الصداقة

ووحدي يقتلني الحب

سدودُ المعجم

ما كان يهذي بخسارتهِ البردُ
ربّما أسندته الأقمارُ لحاشيةِ صباحٍ تنسَّمَ
الخندقوق المحرَّض وأنا خالتي المطرُ
وعمِّي خلاص السمسم تُعَفِّرهُ هالةُ غبارٍ
مسقوف على حاله
وامنفايَ وأنتَ خصمُ الرَّواق الجرجير المُمرَّغ
بأمزجةِ القِرَدَة
مستويةً على الفخّ بتيجان دُفلى
سأرفع النهارَ الممدَّد من وريدٍ يُغيظُه
وانسيانكَ
يا جهرَ الكنزِ، العين المنقولة بأبخرة الأشكال
لرفاتِ اللِّسان الأعمى
على وسائدِ أتباع الصبَّار
هكذا مدى الطفل، أمُّهُ اسمهُ، يدهُ ميثاقه
مرَّت به الخنادقُ

مدنُ التمتمة
التعاويذُ المهترئة، سمّارُ الأطلال وعنادلها الصفراء
سآويكَ مهرولاً بصفحة الحرب
سأعيد الحجرَ إلى أوّل يومٍ خاطبه الله.
وامنفاي يا كلّه وبعضه وأحيان ذبائحه
شرائحُ المدِّ صفوفاً كفروج المرافئ
ذوات مصابيح آناً تفتّش الموجَ وآناً يشوبها فراغُ الزّينةِ
هاتِ بشاراتٍ أعتكف قيامةً لجواميسها
لحظةَ الباب المعلَن لأحواضِ النوم
سأدلقه كضبابِ الشهود
أُرمّل فتواه
وأضحكُ منه عليه
هاتِ حلوى الأشباحِ ملدوغةً برنينٍ موصدٍ
قصراً مدفوناً كفكاهةٍ تحت طاولة الولاء

ترجماناً يتلمَّس أزرارَ الغيوم

وغيوماً تبني أعشاشها مثل عصافير تُخدَعُ بكرفس العزيف

وامنفايَ نفسه مِسك حصافة الشَّغب

يا قِرفةَ السرِّ المُكلّف بالبساتين الملدوغة كسرةَ صوتٍ

يمرِّن الجوعَ، يا رحّالَ الندم الفردوس:

أهذا

الخير

سُماني

المنظر

أم منديلٌ يعابث الشّقاءَ، منقسماً كغيره

من أثاث الرمل؟

بعثةُ الريش تهيمن على طاولات الحدّادين

لا يحصون الجزَرَ الضريحَ ولا يسدِّدون

أُجورَ القطنِ، هذا دأبهم ينظرون

من كنوزٍ هائمةٍ

إلى سرقاتٍ تركض وراءَ الحشد
هذا إذاً، ربّما، ما يتقاذفونه كتثاؤبٍ
مرَّ عليه نعاسٌ يصرّف بجرائره
يموِّه فوانيسَ دميته مصغياً
للضبابِ وجيرانه.

محفوفون بسعالِ الثّقلِ
يذرذرون التعبَ في صناديق معبَّأة سلفاً بخلِّ الرّصاص
رحّالةٌ شفويّون
يتلفّعون بقبلاتٍ لا يرونها
يقرئون منازلَ النومِ قسمةَ ما يتأذّى وحيداً
وامنفاي ينازع طويَّة القوارير، أهذا نهارٌ لأرشّه بالنوافذ
معتصراً ثمارَ الغيب، أم موقد شهقات ينحرهُ الهباءُ؟
هاتِ الخرائطَ منزوعة اللّون، خفيفاً سأغمرها بالشهداء
هاتِ عشيّةَ منسيّين ناموا طويلاً

لا حاجب ينادي أسماءهم، لا أسماء لهم،
لا قرائن وراءَ
ستارة الأدوار
ما من كسلٍ يتدفّأ برسمِ الفراشات
على ضباب المفاتيح
هم آخر القتلى، أوّلُ الناجين
من دعابة الملهاة يتحيّنون شبهات الفراغِ
ككلِّ السطور
داهموا الصّريرَ بقناديل بيضاء
سلّموه الجيادَ والأثواب الممزّقة للرياح
آخذين بابه المتأرجحِ إلى سهرةٍ لا يراها
وهم يزفّونَ القمرَ
لآخر متاريسه الملبّدة بالرسائل
والأبرياء
هم أسوياء عطرٍ يُخان بآذان الصلصال

صورٌ قبض أمهات يفوّتنَ المرايا
حيث لمحنَ معركةً ترمي عظامَ الغد
لوسائد الذهول،
صورٌ أبخرةٌ
من ردهات الضباع وأثاثِ الأدراج،
نِفاسُ زئيرٍ وأُممٌ صورٌ
تحت غطاء الخروع،
سخاءٌ يتبرَّج بفرشاةِ الأسماء
أعيادٌ تلملم أشلاءها للنحيب

لديَّ شاهدٌ لا أراه
وأنا أتفرَّجُ على أعدائي
وهم الأنيقون في بريد الهواء
وفم الظلام
يقهقهون من بعيدٍ بشعوبٍ متخيَّلة

وممالك غارقة

حتى مزاعم السّقف

رهائني يتبعون غزلانَ ضحكي ببنادق صدئة

وذهولٍ ترفضه الحدائقُ

وأنا أتفَرَّجُ على أعدائي

كلّما نشبَ الفراغُ

أتفرَّجُ على نصرٍ لم يعتذر لخسارته

تكبَّدَ رماداً ينطوي على جماجم المديح

وأَعلنَ الحربَ بيدٍ واحدة

بجيشٍ من بخار الهزيمة،

كنتُ أُزوّرِ ما يشبه غيظَ القطيعة

أُلوّنُ حريقَ الظّلال بمساكن مؤجَّلَة لهديرِ العناوين

لهم ما تكَّرَ رشيقاً لمجازاتِ الفرار،

قبل شِباكِ الخيط الأبيض

رسموا السفينة

حملوا جرارَ العسل والماء والزيت وهم يتراشقون بالذكريات
تفقَّدوا المؤنَ المغلّفة بالرسائل والأنفاس
تدرَّبوا طويلاً على النسيان
كانت المناديلُ الممزَّقة
ترفرف على الجسر
والرياحُ تغفر ما تقدَّمَ من جدال النظرات
وما تأخَّرَ منها
كنتُ وحيداً أَنزوي في صورةٍ قديمة للحليب
عندما غسلوا القمرَ بدموعهم
وعادوا إلى النوم
لم يستردّوا شيئاً من حوانيت اللعاب
يومهم اليتيم
يتقشَّر
والرياحُ تنادي الرياحَ
رياحٌ كثيرة تلمّ عشاءها

قبل الظلام
ما من حفيفٍ يصل أمهاتٍ قُتِلْنَ وهُنَّ يُمنَ الجهرَ
فوق جلود المغيب
يتدبَّرنَ أكياساً تلمُّ السفوحَ ويقسِّمْنَ فيها حظوظَ الهمهمات
ما من رفوفٍ تعبثُ بالقسمة
لا قسمة بين مأوى تزوَّج ظلّه وهزائم رائجة لقوافله
لو صدقَ لغطُ الكأّات وهنَّ يقدنَ الرياحَ
إلى حظائر الوميض المتعرِّج
كسطورِ الهياج في مخازنه
لو صدَّقهنَّ عزاءُ المقدور
ليعلونَّ ضرَّاءُ الحوانيت
لتعلونَّ مزاعمُ التوت من قلق فراشاتٍ يُنضجْنَ عناقهنَّ
أمام المرايا،
كيف أردُّ النسيانَ إلى داره
والفكاهةُ المحتشمة تتسلّق حياءَ الأشباح

ظهورَ الأُجُرِّ الغائبِ وحدائق تُطلَى بالرماة

يَصِلونَ اللّيلَ بإناثِ المسير ذاته؟

كيف له مذ جُفِّفَ البحرُ أن يتباهى

بمصابيح تستكمل زجّ الماء فوق مدى يتماوج

كدهاءِ الثِّقل؟

كيف لي ـ ومعاطفهم تلامس ألقابَ الياقوت المزوَّر ـ

كيف لممحاتي

يا للممحاة

تشير

لأقصى

الهواء

الممزّق

بهيا كل

الكافور؟

خلطٌ وقد رتَّبوا الحذرَ المخطوف

دفوفٌ ولا أعواد ثقابٍ للسعاة يقلّبون
موتهم وهم يبيعون صغارَ ما سمعوه
في مقايضةِ الممتدحِ بفراره
ما من يدٍ طليقة في شاحناتِ الغيب
وهي ترمي اليقينَ المقطوع من مريديه
والإسكافيُّ المنكبُّ على قدور الزّيت
سيلوِّن المسافةَ بما يشاء
لا برق يحجب حليَّ شقيقاته الهاربات بأقساطِ الذّهول
خلفهنَّ هديرُ مزادٍ ككلِّ براهين الملح
بعد الآن لا نهبٌ تخيط أزراره شتائمُ الوفود
لا حلوى تحت لسان النقوش
لا لمسٌ لمتنزَّهات القُبل
لا جسور فوق المياه
ولا مياه إلا ما كبَّلته وسائدُ الولاء،
عنبٌ من لا مكان

عبورٌ يُخان بمفاتيحه
نسجٌ لا يفضي إلى خيوطه
وهيئاتٌ أخرى للضحكِ غير ما تعوَّدته البساتينُ
ونومٌ يطوي عتبات النحَّاتين
وأكاذيبهم على الغبار
نومٌ عطشٌ يُقادُ إلى حتفه، عزيفٌ يتأرجح
فوق سدود المعجم،
ماذا بقي من نهارٍ يرتعد
على جذع المساء
منتظراً الفرسَ التي حملت اسمه
ليغتسل في البحر؟
ماذا بقي من الرواة وحوانيتهم؟
نزلوا من قُفَفِ الرّعد حاملين المدنَ
فوق بعضها
قائلين للذي امتدحَ النواطير لا تبتعدْ عمّا تكلَّمتَ،

ماذا بقي من الليل
من الصباح المنكفئ على جَزَرَةِ الميثاق
من عثرات الجنود بخيال النصر
ومن نصرٍ يحوِّم كضبابٍ أثخنته
الدموع؟
خيولٌ رمادية في شهرها المقيت توبّخ الهواءَ
ستلد نعاماً برؤوس غربان وجراداً يأكل المتاهَ وأرغفةً
تموء من الجوع.
دهرٌ بضماداتِ أعيادٍ
ثاب إلى رشدهِ
من رشدهِ
ليموسقَ المكاييلَ الجائعة
كلُّ طعمٍ يؤخِّر طاساتهِ، كلُّ صدعٍ أعمى
يصفُ الركامَ لجارهِ الميِّت منذ أوّل قذيفة

نزلوا تباعاً
السحرةُ وباعة الكتّان
النائمون بوسائد حجرية
الطبّاخون بقدور الزيت المتلعثم بالرمال
المنشدون بطبولٍ مسروقة
رسموا كفوفاً تصفّق لقواربهم
وهي تغرق
سيعدّون المطرَ دمعةً دمعةً
والهواءَ زفرةً زفرةً
سينامون وأحلامهم تجوب الصقيعَ
لا أحد يتعرّف إليهم
سوى ما تشتريه الرياحُ

كلّما عثرتُ على مخازن آمنةٍ لقدور الشتات
فرّوا بالزنازين

أسراي هربوا بي إلى يقظتهم
أحذيتهم المعلَّقة على الأشجار
تتقاطر ظلالاً وموازينَ مختومة باليقطين الحاكم
يرمونَ الحجارة لكلابٍ تعود بأرديةٍ تتنفّس
يشقّونَ صدرَ الذي لم يروه
قائلين لرفات الصّدى أَعِدْ نزالكَ.

رثاءٌ جديدٌ أسفلَ مشورة السيل، مراوحُ صخبٍ كالذباب
وأبراجٌ عالية تصحّحِ عُمرَ الطوفان

فلْيعذُرني لغطٌ يفضي إلى مغاليقه
الوسائدُ مشقَّقاتٌ
فوق سرير الخيال

ماتَ حشدُ الذّهب العدَّاء

وظلّت الأيدي تصفّق لبريد القنابل
تنادي حرائقَ الظلال
فلْيعذُرني الطيرُ والماء المسروق
من عربات المهاجرين
يُرَشُّ خلفهم الزهرُ وملح الأصداء ليعودوا ثانيةً
تحت ضأن السحب بقوارير
من رماد السأم
لأَعذُرَني إن بايعتُ الياقوتَ في منزلٍ
أتذكّره وحدي وأُغضي لنوافذه
حذرَ الهمهمات وخيوط الراحلين
ولْيُثَرثر كلُّ اتجاهٍ في يقظتهِ
حيث تدوِّن الوسائدُ هرجَ الأحلام
وما يشبه الزغاريد المطهوّة بالنظر
أو أخواتِ المأوى
وليكن: سأردُّ لكِ زكاةَ المنادين

رسائلَ الشهور جميعاً والعناق الهارب
بالنرجس المدفون
علبَ الألوان النائمة على حافة البياض
سأردُّ لكِ معصرةَ الشتاء ورفوف النواقيس
رايةَ البكاءِ وأغصان السّاعات
سأحملُ الظلَّ إلى أبويهِ
والبحرَ إلى بصر الغرقى
ولتكن بيننا: أحلامٌ لم تطأ النظراتُ سهولها
كليلٍ صغير يسرق نعاسه من دفاتره المخبأة بعينيهِ،
أيّها النومُ
لا تطعْ أقساطَ نظرتكَ للمتاه
وأَعِدْ شؤونَ الرياح للياسمين
خذ حصصَ اليقين إلى ما كنته قبل حصاد الكثبان

الملاكُ الذي ظننّاه فراشةً

على أحدهم أن يصير شارعاً أعرفه
أو حديقةً تتعجّل السحاب
أريد أن أُخرج الأشجارَ التي تسكنني
والطيور ذات الأعشاش الملوَّنة في صوتي.
منذ طفولاتي الكثيرة لا أجيد النومَ،
على أحدهم أن يطفئ النجومَ
وينظِّف القافلة من الحرب والأصدقاءَ من الخيانة
على أحدهم أن يرشد الملاك الرصين
الملاك الذي ظنناّه فراشةً
في ثغرة اعتدال
جارّاً غيبوبة الكلام مثل نفائس مشيئاتٍ
عجولاً تاركاً رأسه شرقَ الأيام الكسولة
غربَ منظر الأرق
ووحيداً كشهوةِ عواءٍ

في لغز القطيع

يمشي كمالك يقينٍ يرمِّم السياجَ

الملاك المعذَّب بأريج الأنحاء

الذي صار واحداً من المارّة ينظر إلى السماء

كمن يسترق السمعَ للماضي

الذي وجدناه ميتاً

على هيئة غبار

لم أقل لها أنه مات

لم أقل لها أنه مات
وأن جثّته وُجِدتْ موزّعة بين سبع غابات
وحقل ضوضاء
ورأسه داخل بئر يشرب منها الناسُ والطير والرماد
عندما سألتني: هل هو بخير،
كان خفيفاً يعادل وزن كرّاستين شاحبتين
وعلى قلبه نقشَ حرف اسميَ الأوّل وشجرة أمام بيتٍ صغير
كنتُ أدخل ذلك البيت وأرتِّب غرفتنا الآتية
أجدِّد ماءَ زهرةٍ لم نضعها بعد في كأس
كنت أُنظِّف بيتَ قلبه من النساء والسفر
وأتحدّث إليه عن نفسه فقط.
هل هو بخير حتى الآن؟
لم أقل لها أن حرف اسمها احترق
وأن بيتهما المرسوم صار نجمةً مطفأة في منام موته الأخير

لم أقل لها شيئاً
كنتُ قادراً على بكاءٍ لا يراه أحد
بدموع تسقط داخل القلب
حيث رسمتُ بيتاً ونقشتُ اسمَ حبيبتي أيضاً

رسائلُ الناس

أنا حامل رسائل من ناسٍ إلى ناس
من أشجار إلى أشجار
أعرف متى يبكي حرفٌ لأن الرسالة تظلّ تدمع
تدمع وأُجفّفِها لئلّا تصل ناقصة بعض الدموع
ذهبتُ كثيراً لعناوين لا موجودة
عندها كنتُ أجلس قليلاً لأبكي
لأن أشخاصاً
كانوا صادقين حتى الفناء، فناء الأمكنة والوقت .
عندها كنتُ أجلس لأرتاح
لأن رسالةً بداخلها مدينة كاملة
بشوارع ثقيلة بُنِيتْ مخلوطة بالرعد
لأن أسوارها تنغرز في ظهري كالمسامير
وأطفالها يخرجون ويدخلون من عيوني

وحولي تتقافز كناغر لم تكن من سكّان المدينة
في رسالة امرأة حلَّفتني بالسماء والتراب
أن أجد شخصاً ربما كان فكرةً غامضة
في حزنها

عامل أنطاكية نائم

عامل أنطاكية نائم
أين خبَّأ النومُ المجنَّدُ غلمانه
أين تمترسَ غِرٌّ صَداقٍ هائمٍ بين جهرين
يده بهيمة موجٍ مغلوب
وسحرة الخزفٍ المعتلّ يسرقون الذهب
في توابيت الذهب
ويدلقون جرارَ سبايا تعلَّمن كيف يَدخلن حوانيتَ النوم
على أصابعِ الرزق
شمالهنَّ ثكناتٌ مملّحة لما يتّسع للمضغ
وعلى شهود اليمين قمراتٌ لخيار الشهيق
والنوم حسم في أزرار أنطاكية
سرّبوا العار المتلعثم بزيت الفجور
تُدهن به مراوح أنطاكية وأضلاع عاملها النائم
بين سكرات الثراء الموحش
وغده العدَّاء على ظهور المجازر
قلبوا الرمل على الرمل

ربما وجدوا لساناً من الفضَّة أو أُمّاً من النحاس

تشتهي الأسرَ

كمّوا صهاريجَ الأثقال المهرَّبة كالماعز

لا وزنَ بعد القسمة

قبل شروح الطليق بأطراف الخروع

لا شكل بتاتاً

لما تعهَّدوه سبخاتٍ ومحاريث للصّرير

ومزاعم دراهمه

لا مكاييل

سوى لما اقترفوه من ثرثرات يتكئون عليها

لا أرانبِ مدٍّ بجوزتهم

ولا جِزَرِ

الجُزُر

اللصُّ

يخطف ما أكلوه تحت بصر الرماة

نميمة النعاس

مما يختفي إن لم يكن من نفسه
من ثغاءٍ مرصودٍ تركته النجومُ
لئلّا تضيع الزيارةُ المنشورة
كسميدِ الأعراس فوق سطحٍ هو الآخر
لبيتٍ هناك وحده
يدور بالريح
تدور به بذرةُ الدهر فيسقط العالم
بين عابرين يجوبون الفراغَ؛
مما تراه يختفي وقد سلخَ الذئبَ
مرتدياً عواءَه الأخيرَ
إزاء عينيه اللتين ظلّتا كأجيرٍ يتقصّى جسدَه
الممزّق كشرفةِ تحرير
توزِّع القتلى صفّاً صفّاً
على الثكنات حاملين الذبابَ
خوذاتٍ كما يحملون الجوعَ

مائدةً لانتصاراتٍ يذرذرها السُّخامُ،
أين يربط، غير عابئ بالفوانيس،
ارتجافَ نشارةِ المدّ
يقايضه بغبارِ أسرى
ينزلون من يديه ليقابلوا الأوراقَ
كما عرفوها قبل الهذر ونعاجه
الملتَبَسُ عليها الغناءُ
كيف يترفَّق بالناي وحصانه مسكونٌ،
إثر الفراشاتِ، بغيمةٍ لا تقابل إلا نفسها،
وماذا عن رأسه تحت السرير
يبطل عبوّات الليل
أو يبدِّل ألقابَ الجمر متواطئاً مع أجنحةٍ
أفراحها صغيرة
كأقدام نومٍ تحت عجلات الحريق؟
كطلاءٍ جديدٍ يقع من ضربات

العيون

أو عيونٍ هكذا بلا وجهٍ

تبحث عن كرسيِّها الهزَّاز

سرقته الهجراتُ آن ركضتْ غزلانُ

المشهدِ وقد غيَّرتِ الأرضُ كذبتها

إذْ غيَّرَ الطينُ أُجورَ الستائر،

من أين يعود إلى مسقط رأسه؟

كانت هناك شجرة في مسقط رأسه،

لم تخرج بعد من رأسه،

كيف يكلِّمها وتكلِّمه؟

كيف يردُّ المسافةَ بينهما

إلى أوّل نظرةٍ توجعه حتى الآن؟

يا لجباةٍ ينوِّمون، بحشيشة الزّبد، جباةً آخرين ليحصدوا غلالَ

المؤَّمل وحدهم

ليشدّوا السلالمَ من غرفات اللّوز

متناثرين على الدراهم دراهمَ أخرى،
شطوطاً تدرّ الخرائطَ أشباحاً
قفازاتٍ كشرودِ الظّليم
نباحاً كأروقةٍ ليست تجيبِ الرعد
زنجبيلاً لمرارةِ الأشدّ دُواراً
بين نهرين ممدّداً يهزّ النومَ من
غبشِ اليقظة
كقضماتِ الغبار شجارُ الأسماء
تُترَك على مقابض الأبواب
وقفاطين الريح

عاليةٌ أنتِ ترفعين سهرَ مجنّديك
فوق أسوار اللفافات
ترومين الأكثر شباباً في السطو
غريقِ شبر الحياة الأوّل.

لو كنتُ فلاحاً في أرض اليونان
وأبي من آلهة التسديد
يُضمر الشِركَ بما حوله،
بنفسه، بالغابات
يجمعها كالناس يعلّمِها شتائمَه
جبيرةَ الأسماء
خلَّ الغيب الجالس على الهدير،
ويلقّنِ النوارسَ الخارجة من صدوع الشتات
آثامَ الأغصان
يُقرئني سفائني
عِلَلي الموثقة بسور الغيب
لو كنتُ شجرةً في البحر
لأضرموا النارَ بالبحر وقالوا:
رأيناه يتسلّق نفسه إليكِ
مخموراً بالحبل ذاته من دمعتكِ،

أين يحلم لو شاء القرنفلُ؟
وشَعركِ لا لون له الآن وراء جدارٍ
أنقره بغيمة
لم أكن واقفاً هناك أو هنا، لم أرك مطلقاً
في محطاتٍ تكنس النائمين
كأجنحةٍ يابسةٍ سقطتْ من فراشاتٍ تبكي
لا أذكر لونَ الباب
رائحةَ الربيع خلف الشرفة
لم يحتفظ بي شيءٌ أو أحدٌ
لكنني أراقب ظلّي
منذ ألف عام وهو يعود مهملاً
يكتب رسائلَ خلواته وينام حاملاً صورةَ شارعٍ
إنه هو في أزهى خياناته
يذهب ويأتي
يمشي كقمرٍ يبحث عن كتّاب

كشارعٍ يخبئ البيوتَ عن الطوفان
كزجاجةِ ماءٍ تحلم بالشفاه.
وحيدةٌ أَنتِ
سمّيتكِ النومَ
فأحلامي كثيرة
كالعابرين.
لا أريد أن أخسر النظرات وأنت تعبثين بوسادة البحر
بصناديقه المخبأة في انعكاسِ النوم على شهوات العزيف.
تكبر نظرتك في الحديقة
تكبرين وحيدةً
وينتعلني نزوحُ جيَّارُ
هذا ما كنت أضمره للسفن: أن تُبْلَى بجيد المسامير
وخنزير المشيئات بقرونه المدبَّبة
أن يُلْفَظَ قرينُ السرِّ دون مطاحنهِ
يُرْشَقَ العدمُ بنفقات الذئب على أُمومة الأثير

ويخفي الذي يده على طنجرة الأرض صورةَ السماء
إن
لم
يكن
خمَّنَ
الأجنحة
ممَّا سيغترف الرواةُ أصواتهم؟
نعاسٌ شكٌّ يؤْكَل غيظُ العشَّاق يصفون نبيذ الوعد
والطريق ماء العربات المُحلَّى تشربه ولا تصل
إلّا فارغة
ضجرٌ بما ملكت نحلةُ الجسر
دعاءٌ سائبٌ كوفئ بسطو المداخل
حربٌ حتى العظم، بجيم حتى زلّة الحصون
وأنتِ منامُ البندق زغبُ الباب وراءَ الهدهد

أمامَ المتسوّلِ حرجَ اليقين
يا الليل المطرود الحاكم له عين واحدة في جيب الحلّاق
الليل فواقُ البرهة
الليل الرهبان
الليل السّعال
الليل الشاطئ
كلب الهدير المتأنّقِ لعظام الأسرى
شفقة الحجر المتلعثم بما يسرّه لدروع الغيب
رجاء الموت الخائف من الموت
صبيُّ الساعاتيّ اللاجئ لتوريات النّمْسِ
المُحْيي درّاجات النزع المنهوب
أيّها الليلُ
لا تحرقني أكثر ممّا فعل الانتظار
أنا وحيدٌ ومستاء
نازحٌ بقفّةِ نجومٍ ملبَّدة بالضجر

مكسور كزجاج مدرسة
خائف كتأويل حلم يتربَّصني
صغيرٌ كرحلةٍ لم تبدأ
وكبيرٌ كالنسيان
وهذا الحصار الممدَّد
سبع حكايات قديمة لا تبرح ذاكرته
عندما حلَّقت النسور بالمفاتيح
ولم يجد باباً يُفْتَح بإصبع الغبار الممتثَل لقارئات الشحوب
سيمرّ فوجُ الطيور ويأخذ عينيه
ستمرّ يدٌ لا يعرفها تعطيه دمعةً وتختفي
سيمرّ الأصدقاء ويلقون به ثانيةً في النهر
ستمرّ الأرض بمقاعدها المقلوبة وتخيّره واحداً لن يجلس عليه
سيأتي القطار يكنس الساعات ويذهب بينما هو يحاول
فضحَ اللغز الذي يتآكل في رأسه

ختمٌ حيٌّ كالبيت
ختمٌ عائدٌ بالحبر الفِدية، بنثر القطيعةِ المُجَابة
بالشوط المتوثّبِ
ختمٌ بالماء السّرّيّ على كتف البهلول،
رسمٌ لملوك الريح السبعة، لبوابات القطن الربّاني،
ختم للماء على الماء وضمير الحوت الغافل
لا ساحر إلّا رحيق القطرة، لا آمن إلّا الصّرير
فوق رأس التمثال ولا نهمٌ إلّا ما يُنْسَى
شروقٌ يُنْسَى
غروبٌ يُنْسَى
أحمالٌ قادمةٌ ذاهبةٌ تُنْسَى
وقبورٌ مكشوفةٌ لازدراء الموحش طحينَ العزائم
حرّاسٌ شمعيّون أقوالهم تُنْسَى
لوحٌ مجفَّفٌ من غبار القطرب
عدلٌ كالرِّبا عِلَلُ مشوراتٍ أبنيةٌ من الألحفة والحدوات ولا

نوم إلّا اختلاء النفيس بجراء القيامة
لا غار إلّا الذي سلَّمَ العنكبوتَ
ولا
بحر
غير
ارتشاف
المنافي

القدح المُفْضي إلى سبائكه

لا نأي يُحْتَذَى
لا غرق يعطِّر الدراهمَ في جيوب السجال المُضاع
على رسله
لا مقبض لبابٍ خلفه تُلامُ الأبوابُ
ولا أمامٌ ليُحْصَى الوراء

شِرْكٌ بالمعنى، بزجاجةِ البرق على رأسِ النظرة
إلى نفسها
رسمٌ لحدود الرَّهَقِ بين الأقفال وبين الأصداء،
تُسْبَى المقاديرُ إن صُنِّفَتْ
وترتجُّ صاريةُ الليل إن مال رأسُ التُّرجمان
بين السراديب
أو طفحَ المنادون بما توَّجوه غريماً
وسط هذا السُّدْل لِينعقدَ رِشقُ الفراغ

لا يُنْصَح باقتياد الأسرى

إلى المصبّ المطوَّق بالظلال وغرف الأشكال

عبثاً كوشوشةِ صريرٍ يتهيَّأ لغنائمِ البرد

واحداً من مدائح السَّمع التلميذِ

مقطوعاً من سلالةِ غبارٍ كسير

لا يُنْصَح بشيءٍ

حتى يُطْعَن الدليل وتفترسُ الأسماءُ أجسادها،

لا يُنْصَح في الحانة

بغير القدح المُفْضي إلى سبائكه

يرمي النهرَ بطين النوم

كنعاسٍ يفكّ حصارَ اليقظة
أو مثل ميّتٍ يقلّمِ أظافره سعيداً بنجاته
من مداهمات الحياة
قرَّرَ أوّلَ الأمر أن يكتب رسالةً
قرَّرَ آخرَ الأمر حرقها
بعيداً عن ثغاء النظرة
وأن يغسل يديه بعد ذلك بمياه النبع الطريد
بمترفين تركوا الظلالَ تدير مناجمَ الغزو
ويغسلها بداءِ العروش المنتقاة لضرائب النزهة
أن يترفَّق بالموت في موته
يمسح جبهته بدعاء النوارس
وزيت الممرّات
حاملاً له سلامَ الحقائب ولقهوته رذاذَ التعب
زلَّةَ نسيانٍ لوصيفاته من نحاس المرافعة

أيِّلاً يتهجَّى خطوات الجبال
وقميصاً لصداع حوافه
كان يرمي البنادقَ بجثّته ويتعثّر
بأضلاع الغابة متابعاً وجهَ الأحد يوم الأربعاء
يرشو جمجمةَ الصباح بدميةِ عيدٍ
يلمّع صبرَ المنارات، وهمَ القياس
وغير هذا كان يرمي النهر بطين النوم
فتطير أسماكٌ زرقاء وتختفي
بين الشرفات الممحوّة كغبارٍ يليق بهجرته
وحيداً ترمَّلته ندوبٌ خائفة من صراط الموازين

دفوفٌ لغيبوبة الشكل
دفوفٌ للعطشِ الصبّار

أعطني سبباً لشيءٍ ما

أعطِني سبباً نذهب حاملين لأمِّهِ
أكياسَ الحلوى
ولأبيهِ الميِّت عكازاً يستند إليه ليفتح البابَ
للملوكِ الذين سيدخل بكاؤهم
المهرَّب تحتَ البكاء
أعطِني ذنباً لم تفكِّر به جيوشُ الخليفة
فراغاً أصغر من دائنيه
وموجة أكبر من دموعنا
ومنشفةً لهذا العَرَق البهلول على جبهةِ الليل
أنا لم أذهب إلى البحر
وأنتِ أيضاً لستِ هناك
أعطِني سبباً لشيءٍ ما حدث دون علمِ شجرةٍ
أو غيمة
بينما كنّا نتأهّب للسير
بصخرتين من الرسائل والرياح
كي نقفز معاً
وتنتهي نظراتُ البلاد التي أنكرتنا

ناسياً ما يعتريه

بين الأغصان الكثيفة يرمي الرجلُ شصوصَ
الشّفقِ الراكض بشهوات المعذّبين
يرمي معجمَ نظراته
فقهاءَ أحلامٍ لم تطأ الزياراتُ سهولها
كليلٍ صغيرٍ ينهبُ نعاسُ دفاتره المخبأة بعينيهِ
رأى حلماً غير الذي اختطفه من فم الظهيرة
ونمور الخريف
علّمَه أسماءَ الهدير
علّمَه كيف يثبت للبرق أنه على مضضٍ
يشتري كفناً للهواء
وهو يسرق أرغفة البرد
مرّتْ به الينابيعُ بسطور النازحين ورسائلهم
إلى رفات القناديل وذرائع الثمار
تركتهُ الأرصفةُ
كضحكتهِ ناسياً ما يعتريه
يتعلّم ما قِيل للسّدر وشقيقات التين الجوّال

ويرمي عذارى النوم واحدةً إثرَ ظلِّ البنفسج
واحدةً إثر ما يصدر لاحقاً عن الزعفران
كمبعوث الأسرى
سيعود بزنازين فارغة
وأصابع ظلال الأبواب
ومنازل محمولة على سعال الضوء الشريد
سيحدِّث الكلمات عن فراشات الرّماد الأصمّ
وعمّا رآه بين مرايا الرياح
كيف تُزرَع مشيئات لا تكفي لفهود القُبَل
وكيف ترقص الأشباحُ بلا أجرٍ
حتى يموت الزَّبد
ما يُمتدَح بلا فوزٍ، يتشابه بلا حضور
سيتذكَّر ألغازَ الخدَم اللامرئيين، بغالَ الوسواس المنهوب
عراكَ نبيذ الأرواح المهرِّج
سيعود آخر النهار جارّاً قفافه الملآى بالأسماك
مبلَّلاً بالمياه المالحة

سيجد كنوزَ الرومان الفارّين بعويل الذّهب
وآلات حظوظ الفراغ الممتدَح للقناديلِ
النائمةِ في أرق الأعياد
سيعود بصناديق بكاءِ الأرامل قبل أعوامهنَّ المبشَّرَة
بلغوِ العطّارين
وهم يغشُّون الولائمَ المجفّفة كالحرباوات
وخرائط ممرات الصدى
سيطلّ حاملاً الكتبَ الغارقة وتماثيلِ سرقها النومُ
سيشعل لفافةً باردة وهو يكوِّم الرّنينَ
المغلَّف بالشّمع
دافعاً هجومَ الحوت عن ندى ضحكاته
سيظل صغيراً كما يشاء
يقلِّب الصُّورَ كما يشاء
قائلاً لشكوك الدويّ البعيد
ربَّما تكلَّمَ الظلُّ بما تخفيه
ربَّما لا شأنَ للنوم بالنوم؛
لطالما التقيتُ أسماكاً تجوب الغابات

كقرويٍّ تعجَّلهُ حياءُ النذر

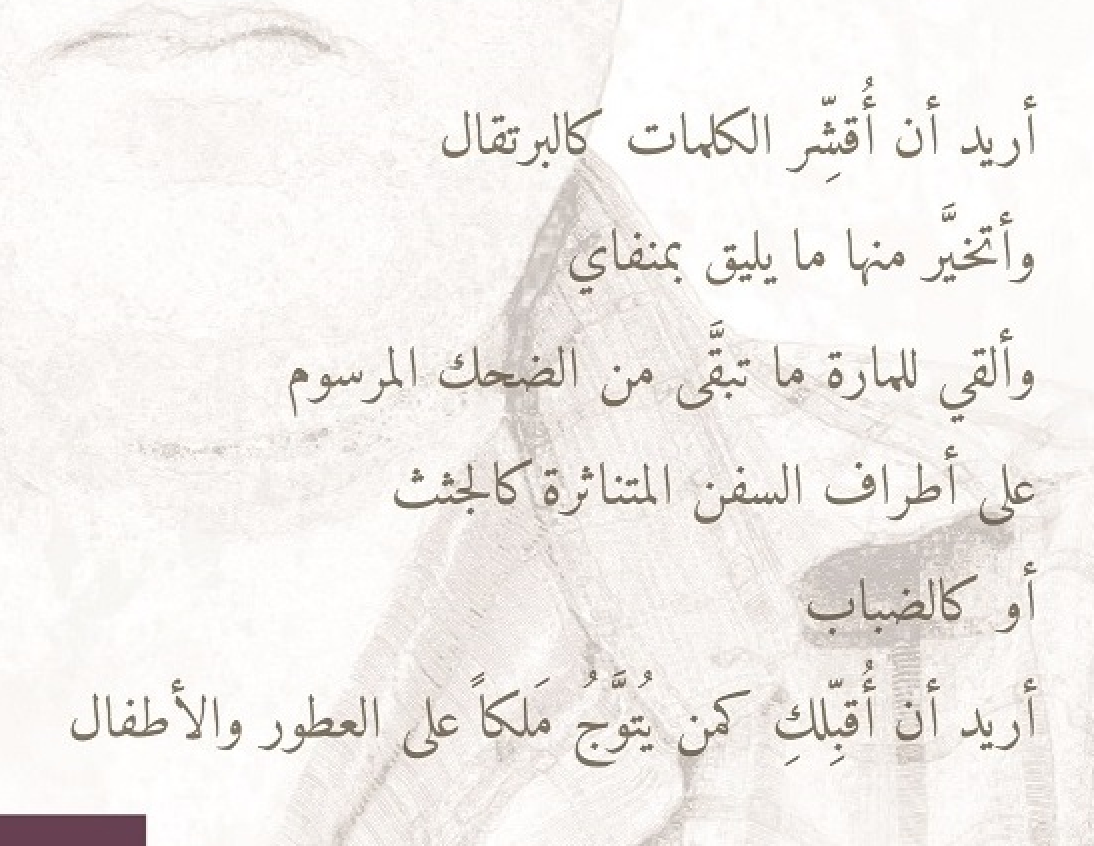
لا تعجبني ظلالها أزهارُ الدفلى
في الوادي أعبره كلَّ يوم فارّاً من دفاتر الرعاة
وأصصهم الجافّة، وبرادع الكيد يستميلونه
كضبِّ الدُّخان
حُوصِرَ في ثكنات الخميس بندوب الإثنين
ومجون الداء
لا تغويني بأزقّة البياض الملفوف
تتأوّه ألسنةً ببشرى القطاف
لا تخطفني اليقظةُ من تفاحٍ علَّمني النومُ ملاجئَه
لا يردّني لسفحِ الجبل جَمالُ النساء
يضاحكن المياهَ وأنا أجمع فاكهةَ المجازات
كقرويٍّ تعجَّلهُ حياءُ النذر
أرمي نحوهنَّ عيناً من اللوز
وأخرى من صبر الليمون على نضجه
النساءُ الصغيرات يرسمنَ المطرَ أشكالَ مهورٍ

لم تُحْسَم وجهتها
ويرسمهنَّ حوريات يفصّلنَ وِهادَ اللون الوسيم
يُربكِنَ الوريثَ النائم وثأره المدفون
يُنعِتُ بنصف حاجته للنزوح
يرتابهنَّ قماشُ العاج المتأوِّل رشاقته
أُفكّر بأفعالهنَّ قبل الحُبِّ وبعد الحُبِّ
أقلَّهنَّ نوماً
أكثرهنَّ أحلاماً
يملأن جرارهنَّ بزغاريد الأبواب
وحيث يحلو لي الغناء
أظل أُتابع ذهابهنَّ وراءَ الريح

الصغيرةُ بينهنَّ تلتفت أحياناً
بينما ألتقط النجومَ التي ستذكّرني بملح الجهات

فهرست

فهرست



أريد أن أُقشِّر الكلمات كالبرتقال

وأتخيَّر منها ما يليق بمنفاي

وألقي للمارة ما تبقَّى من الضحك المرسوم

على أطراف السفن المتناثرة كالجثث

أو كالضباب

أريد أن أُقبِّلكِ كمن يُتوَّجُ مَلكاً على العطور والأطفال



